الكاتب: د/ نور الدين مسعودي
جامعة المدية – الجزائر-

عنوان المقال: **القبائل الهلالية ضمن المشاريع السياسية للدولة الحمادية (405-547هـ/1014-1152م)**

البريد الالكتروني: messaoudinour68@gmail.com

تاريخ الارسال: 03/03/2020 **تاريخ القبول:** 16/03/2020 **تاريخ النشر:**2020/03/31

القبائل الهلالية ضمن المشاريع السياسية للدولة الحمادية

(405-547هـ/1014-1152م)

Hilalian tribes are among the political projects of The Hammadid state

405-547/1014-1152)

الملخص بالعربية: يتضمن هذا البحث دراسة حول انخراط القبائل الهلالية ضمن المشاريع السياسية للدولة الحمادية، وذلك بتجنيدهم في صفوف الجيش الحمادي، للاستفادة من قدراتهم القتالية كي تكون سندا لهم لتحقيق مشاريعهم التوسعية لبسط نفوذهم على بلاد المغرب، وللوقوف على هذه المعطيات قمنا باستقراء مختلف المصادر التي تطرقت للموضوع ومقارنتها.

كلمات مفتاحية: القبائل الهلالية، بلاد المغرب، بني حماد، الزيريين.

Abstract : This research includes a study on the implication of the Hilalian tribes in the political projects of The Hammadid state, that it is a question of recruiting them in the ranks of the army of Hammadi, and of profiting from their capacities of combat to support them in the realization of their expansionist projects in order to extend their influence on the Maghreb countries. Subject and compare them.

Key Words: the Hilalian tribes, the Maghreb countries, bani Hammad, the Zirids

تعتبر الهجرة الهلالية التي شهدتها بلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، حدثا بالغ الأهمية لِمَا أحدثته من تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية في المنطقة، فبدخول قبائل بني هلال[1] إلى إفريقية انهارت سلطة الزيريين[2]، وانقسمت إمارتهم إلى ما يشبه دويلات الطوائف ببلاد الأندلس، وتطلّع الحماديون[3] للتوسع على حساب بني عمومتهم الزيريين، في حين ظهرت دولة المرابطين، وكثّفت قبيلة زناتة حملاتها على الجميع، فاستغل الهلاليون هذا الوضع لعرض خدماتهم العسكرية، فهل تمكن الحماديون من توظيفهم في صفوف جيوشهم، والاستفادة من قدراتهم القتالية لتحقيق أهدافهم السياسية؟.

أ- علاقة بني حماد بجيرانهم في ظل تحرش الهلاليين بأراضي المغرب الأوسط:

غلب الطابع العدائي على العلاقات السياسية الزيرية الحمادية، منذ انفصال حماد بن بلكين(405-419هـ/1014-1029م)[4] عن بني عمه الزيريين، حتى وإن تخللت ذلك فترات عرفت نوعا من التصالح بينهما، تبعا للظروف التي كانت تمر بها كلتا الدولتين، والتي فرضت عليهما السعي نحو إيجاد تقارب بينهما، إلا أنّ حسن العلاقات اقتصر على المصاهرات وتبادل السفارات، دون أن يرقى إلى مستوى التعاون أو التحالف لمواجهة مختلف التحديات، فبعد وفاة حماد استلم الحكم ابنه القائد(419-446هـ/1028-1054م)[5]، الذي تصفه المصادر بأنه كان«سديد الرأي، عظيم القدر»، ويصفه ابن خلدون بأنه كان جبارا، وعرف عهده استقرارا بفضل جهود والده من قبل في توطيد أركان دولته، تلك الجهود التي كان للحاكم الحمادي الجديد القائد، مساهمة كبيرة في تجسيدها، حيث يعتبر هو مهندس الصلح الذي تم بين والده حماد والمعز بن باديس، وفي أول مشكلة واجهته مع العدو التقليدي زناتة، أظهر القائد حنكته السياسية، فعندما زحف إليه أمير فاس، حمامة بن زيري بن عطية الزناتي سنة 430هـ/1039م، استعمل القائد الحيلة والدهاء وقام باستمالة بعض الزناتيين، وسرّب إليهم الأموال، فما كان من حمامة إلا مصالحته والدخول في طاعته[6].

أما علاقته مع الزيريين، فإنّ المصادر تذكر بأن القائد بقي على اتصال مع المعز بعد صلح 408هـ/1018م، حيث يقول النويري:«وبقي القائد يتردد على المعز»، ولكن ودائما حسب النويري فإن القائد كان يتحين أي فرصة للتخلص من تبعات ذلك الصلح«يضمر الغدر وخلع

طاعة المعز والعجز يمنعه»[7]، ففي الوقت الذي كان فيه المعز يتأهب لإعلان القطيعة مع الفاطميين، خالفه القائد وأعلن عصيانه، مما جعل المعز يتحرك نحو القلعة في سنة 432هـ/1041م، التي ظل محاصرا لها مدة سنتين، ثم انتهى هذا الحصار بالتصالح بين الطرفين[8].

وعندما استنجد المعز بالقائد لإمداده عسكريا أثناء الزحف الهلالي، رأى الأمير الحمادي أنه من واجب التضامن العائلي أو الشعور بالخطر المشترك، أن يستجيب للنداء الزيري، فأوفد إليه ألف فارس، رغم أنهم تخاذلوا في معركة حيدران، وبعد أن رأى ما حلّ بأبناء عمومته، أيقن القائد أنّ الدور سيكون عليه إن لم يتدارك الموقف بسرعة، فراجع طاعة الفاطميين، ووصله من المستنصر لقب شرف الدولة، الذي كان للمعز سابقا[9]، وفي رسالته إلى صاحب اليمن يذكر المستنصر الفاطمي أنّ وفدا كان من ضمنه ابن حماد أخ صاحب القلعة، انتقل إلى قابس لمقابلة مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم، لتقديم فروض الولاء والطاعة، وطلب العفو من أمير المؤمنين:«وخرج إليه ابن بُلكين صهره على أخته، وابن يلمو الذي هو مقدم قومه، وابن حماد الذي هو أخو صاحب قلعة كتامة مستأمنين، وبعفو أمير المؤمنين لائذين، وعلى بابه ترسلا في مثله عن صنهاجة وافدين»[10]. وكان الحماديون أكبر مستفيد من الاجتياح الهلالي لإفريقية، فالمصادر تتحدث عن انتقال الكثير من أهل إفريقية بعد خرابها إلى بلاد بني حماد، مما ساهم في إعمار بلادهم وكثرة أموالهم[11]، ويقول البكري:«فلما كان خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهل إفريقية، وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرجال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة»[12].

وعلى عكس فترة حكم القائد التي دامت سبعًا وعشرين سنة، فإن خليفته محسن(446-447هـ/1054-1055م) لم يدم حكمه إلا ثمانية أو تسعة أشهر، فقد لقي حتفه بسبب عصيانه لأوامر والده القائد الذي كان قد أوصاه بأن يحسن لأعمامه، وأن لا يغادر القلعة إلا بعد تمام ثلاث سنوات من حكمه[13]، لكنه خالف ما أمره به والده وعزم على عزل أعمامه من أعمالهم، وقتل أربعة منهم، وعندما ثار عليه عمه يوسف بن حماد بسبب ذلك، خرج محسن من القلعة لمحاربته، وأرسل في طلب بلكين[14] ابن عمه محمد بن حماد، ويفيدنا ابن خلدون برواية عن عملية توظيف للعرب الهلالية من قبل الأمير محسن، حيث أرسل رجلين من عرب بني هلال هما خليفة بن بكير وعطية الشريف، وأمرهما بقتل بلكين في طريقهما، لكن الرجلين

أخبرا بلكين بالمؤامرة وتحالفا معه وتعاهدوا جميعا على قتل محسن، ولما اكتشف هذا الأخير أمرهم فرّ إلى القلعة، إلا أنّ بلكين أدركه قبل أن يدخلها فقضى عليه واستولى على القلعة[15]، وبذلك يكون بلكين قد وصل إلى الحكم بمساعدة الهلاليين.

ويظهر أنّ بني حماد ساروا على نفس السياسة التي انتهجها أبناء عمومتهم في القيروان من قبل، فعملوا على إدخال الهلالية في خدمتهم، وهكذا نرى بلكين بن محمد يخرج سنة 450هـ/1058م، ومعه جماعات من الأثبج وعدي لحرب زناتة، وبفضلهم تمكن من كسر زناتة وقَتْلِ أعدادٍ كثيرة منهم[16]. ورَدًا على التوغّل المتكرر للمرابطين[17] في الجزء الغربي لحدود الدولة الحمادية، جهّز بلكين بن محمد في سنة 454هـ/1062م، جيشا لوضع حد لهذه الأطماع، وعندما سمع يوسف بن تاشفين[18] بخروجه، اضطر للانسحاب إلى الصحراء، في حين دخل هو مدينة فاس[19] التي تَعَهّد له أشرافها على الالتزام بالولاء، وتقديم فروض الطاعة، وفي طريق عودته من هذه الحملة فاجأه ابن عمه الناصر بن علناس[20] وقتله انتقاما لأخته التي قتلها بلكين، واستولى على الحكم[21].

وأول عمل قام به الناصر(454-481هـ/1062-1088م) بعد استيلائه على الحكم هو توزيع الأموال على الهلاليين والزناتيين الذين كانوا موالين لبلكين، وبذلك أمن غدرهم وكسبهم إلى صفّه:«وأمر لحينه بخزائن بُلُقين فأنهبها ذُؤبانَ العربِ وصُقُورةَ زناتة، فاستخلص بذلك غُيوبهم، وأَمالَ إليه قلوبَهم»، ولتأمين دولته عهد بالقسم الغربي من مملكته إلى أخيه كبّاب وكانت إقامته في مليانة، وعيّن أخاه رومان على ولاية حمزة، وأسند ولاية نقاوس إلى أخيه خزر، وولاية قسنطينة إلى أخيه بلبار، وعلى الجزائر ومرسى الدجاج لابنه عبد الله، وعلى أشير لابنه يوسف. وعلى إثر انتهائه من الإصلاحات الداخلية لدولته، وجّه الناصر حملة عسكرية إلى بسكرة قادها وزيره خلف بن أبي حيدرة ، وكان يحكمها بنو جعفر، وعندما أقدم بلكين على قتل مقدّمها جعفر بن أبي رُمّان، قاموا بخلع طاعة بني حماد، فتمكن خلف من إخضاعها، وقام بترحيل بني جعفر وعددا من أعيان المدينة إلى القلعة، فقتلهم الناصر وصلبهم، وبوشاية من قادة صنهاجة قام الناصر بقتل وزيره خلف بن أبي حيدرة، وولّى مكانه أبا بكر بن أبي الفتوح المعروف باسم أحمد بن جعفر بن أفلح، وأثناء قيامه بحملة تفقدية بالمغرب، استولى علي بن ركان بمعونة إخوانه من عجيسة على تاقربوست، فرجع الناصر من المسيلة، ونازلهم واسترد منهم تاقربوست، وذبح علي بن ركان بيده. وعلى صعيد العلاقات الزيرية الحمادية في

عهد الأميرين الجديدين تميم والناصر، اللذين ارتقيا إلى سدّة الحكم في عام واحد وهو سنة 454هـ/1062م، فكانت العلاقة بينهما سيئة للغاية بسبب تدخل الناصر في شؤون إفريقية عن طريق المتمردين على السلطة الزيرية، حيث كتب إليه حمو بن مليل البرغواطي صاحب صفاقس، بالطاعة والولاء، وبعث له هدية، كما وفد إليه أهل قسنطينة ومقدمهم يحيى بن واطاس لتقديم شواهد الإخلاص، أما تونس فلم تكتف بالدخول في طاعة الحماديين، بل وفد شيوخها على الناصر طالبين منه تعيين وال عليها، فولّى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان[22]، وبالتالي لم يكن مستبعدا أن تنشب حربًا بين الطرفين في أي لحظة.

ب- معركة سبيبة و إقرار الهلاليين على مجالات بني حماد:

لم تسعفنا المصادر المغربية بمعلومات وافية حول أول احتكاك بين تميم والناصر، ومن حالفهما، اللهم إلا ما ذكره ابن عذارى بقوله:«وفي سنة 457هـ/1065م، كُسِر عسكر الناصر بن حماد، وكان قد خرج في عدد كثير من صنهاجة وزناتة وعدي والأثبج، فلقيتهم رياح وزُغبة وسُليم، فانهزم الناصر، وقُتل من أصحابه خلقٌ كثير»[23]، أما ابن خلدون فيرى أنّ هذه الحرب كانت نتيجة للفتن والحروب التي وقعت بين قبيلة رياح من جهة والأثبج من الجهة المقابلة، فوفد على الناصر رجال من الأثبج يطلبون منه الدعم ضد رياح حلفاء تميم«فأجابهم ونهض إلى مظاهرتهم في جموعه من صنهاجة وزناتة»[24].

أما المصادر المشرقية فقد أعطتنا معلومات دقيقة حول أسباب المعركة، ومجرياتها، فابن الأثير والنويري يذكران أنّ تميم وصلته أخبار بأنّ:«الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمّه، وأنه عزم على المسير ليحاصره بالمهدية، وأنه حالف بعض صنهاجة وزناتة وبني هلال، ليعينوه على حصار المهدية». ودائما حسب الرواية المشرقية التي تذكر أنّ تميم عندما تأكد من صحّة المعلومات الواردة إليه، لجأ إلى الحيلة والدهاء، وذلك بإثارة حلفائه وأصهاره الرياحيين ضدّ الناصر بن علناس، فاستدعى أمراء بني رياح، وقال لهم:«أنتم تعلمون أنّ المهدية حصن منيع أكثره في البحر، لا يقاتل منه في البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا، وإنما جمع الناصر هذه العساكر إليكم»[25]، فانطلت عليهم الحيلة، وطلبوا منه المساعدة، فأمر لهم بعشرة آلاف دينار، لكل أمير منهم ألف دينار، وألف درع، وألف رمح، وألف سيف هندي، ومن جهتهم لجأ قادة بني رياح إلى نفس الأسلوب الذي استعمله معهم تميم، حيث أرسلوا شيخين

إلى حلفاء الناصر من العرب الهلالية يلومونهم على مساعدتهم له، ويخوّفونهم منه، ومما قالا لهم:«كيف وقعتم في هذا الأمر وأردتم تلاف ملككم؟ هذا الناصر قد سمعتم غدر جده حماد لباديس، وغدر بنيه بعضهم بعضا، وقد اتفق مع زناتة، فإذا وطئ بلدنا بصنهاجة وزناتة قاصدا تميم بن المعز- وتميم في حصن منيع بالمهدية لا يقدر عليه- فعندها يملك بلاد إفريقية ويخرجنا وإياكم عنها»، فاقتنع قادة بني هلال بكلام الشيخين، وقالوا لهما:«والله لقد صدقتم. فإذا التقينا فقاتلونا فإنا نهزم ونرجع عليهم. فإذا ملكنا رقابهم كان لنا من الغنيمة الثلث ولكم الثلثان»[26]، ويبدو أنّ تميم قد عقد اتفاقا مماثلا مع المعز بن زيري بن عطية الزناتي، أو أنّ هذا الأخير جمعته المصلحة مع رياح[27]، حيث أرسل إلى من مع الناصر من زناتة فوعدوه بأن ينهزموا[28]. وبهذا الشكل صارت المعركة محسومة لحلفاء تميم الذين شرعوا في حشد قواتهم انتظارا للموقعة الحاسمة، فاحتوى معسكرهم قبائل رياح وزغبة وسُليم، بينما في الجهة المقابلة احتوى معسكر الناصر إلى جانب قواته النظامية المتكونة من العبيد، وصنهاجة، وزناتة، قبائل عُدي والأثبج، وكانت المواجهة قرب قرية سبيبة[29]، القريبة من الأربس[30]، في عام 457هـ/1065م[31].

كانت المعركة سريعة وحاسمة، ودارت كما خطط لها تميم، فحسب الخطة المرسومة حمل بنو رياح على الأثبج وعدي، وحملت زناتة، بقيادة المعز بن زيري على أبناء قبيلته المتحالفين مع الناصر، فانهزمت الطائفتان المتحالفتان مع الناصر كما وقع الاتفاق، وتبعتهم في الهزيمة عساكر الناصر، وأسفرت المعركة عن خسائر فادحة في معسكر الحماديين، حيث بلغ عدد القتلى أربعة وعشرون ألفا، ولم ينج الناصر إلا بأعجوبة صحبة عشرة فرسان حسب النويري، ومائتين حسب ابن خلدون[32]، بينما قُتِل أخوه القاسم بن علناس الذي ضحّى بنفسه في سبيل مملكة أخيه، وفي ذلك يذكر صاحب الاستبصار أنّ أخاه هذا نهاه عن قتال العرب، وقال له:«أقم أنت ببلادك وابعث إليهم وصانعهم يأتوك خاضعين وفي جبائك طامعين، فهذا من خُلقِ العرب قديما فلا تلقاهم»، ويُسْتشف من هذه الرواية مدى سعي الناصر لاصطناع الهلاليين وإلحاقهم بخدمته كجنود، ويضيف نفس المصدر أنه بعد تأكد القاسم بن علناس من الهزيمة، قال لأخيه الناصر:«أعطني تاجك والراية أقم على الجيش، وانج بنفسك، فإن كانت السلامة فمن الله، وإلا بقيت أنت للناس، فليس منك الخلف»[33].

ويصف لنا ابن خلدون ما نتج عن هذه المعركة، بقوله:«واستباحت العرب وزناتة خزائن الناصر ومضاربه. وقُتِل أخوه القاسم ونجا إلى قسنطينة ورياح في اتباعه»[34]، وبعد استيلائهم على جميع ما كان في المعسكر من مال وسلاح ودواب، أرسلوا الألوية والطبول، وخيام الناصر بدوابها إلى ابن عمه تميم، فردّها وقال:«يقبح بي أن آخذ سلب ابن عمي»، وهي حركة من تميم تدل على ندمه، وشعوره بتنامي قوة الهلاليين[35]، التي أصبحت تهدد كيان البيت الزيري بشقيه، وهو ما يبرر التوجه الدبلوماسي الذي انتهجه الطرفان بديلا عن الصراع والمواجهة. يتبين لنا مما سبق ذكره أنه إذا كانت معركة حيدران سنة 443هـ/1052م، سمحت للهلاليين من التوغل في أراضي إفريقية، وبعبارة أخرى إقليم بني زيري، فإنّ معركة سبيبة 457هـ/1065م، سمحت لهم بالانتشار في أراضي المغرب الأوسط، وإقرارهم في إقليم الحماديين.

أما عن تقدم الهلاليين نحو بلاد المغرب الأوسط وما انجرّ عنه من نتائج، فيقول ابن خلدون:«ثم لحق بالقلعة فنازلوها وخرّبوا جنباتها وأحبطوا عروشها، وعاجوا على ما هنالك من الأمصار، ثم طبنة والمسيلة فخرّبوها وأزعجوا ساكنيها»، ويضيف ابن خلدون:«وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعًا صفصفًا أقفر من بلاد الجنّ وأوحش من جوف العير، وغوّروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد»، ويقول في موضع آخر:«ولما دخل الهلاليون إفريقية وغلبوا المعز وقومه عليها واقتسموا سائر أعمالها، ثم تخطوا إلى أعمال بني حمّاد فأحجروهم بالقلعة، وغلبوهم على الضواحي»[36]. إلا أنّ ما ذكره الإدريسي عن مدن وحصون بلاد المغرب الأوسط بعد هجرة الهلاليين، يدل على حسن علاقات أهلها مع العرب، إلى درجة أنهم كانوا يشتركون في الزراعة والتجارة، فيقول عن قسنطينة:«ومدينة القسنطينة عامرة وبها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذوو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب وتشارك في الحرث والادخار»، ويصف حصون المغرب الأوسط بقوله:«وجميع هذه الحصون أهلها مع العرب في مهادنة وربما أضرّ بعضهم ببعض غير أنّ أيدي الأجناد فيها مقبوضة وأيدي العرب مطلقة في الإضرار وموجب ذلك أن العرب لها دية مقتولها وليس عليها دية فيمن تقتل»[37].

وتجسيدا لرغبة الطرفين في الصلح، كلّف الناصر وزيره أبي بكر بن أبي الفتوح للوساطة بينه وبين تميم، وكان هذا الوزير محبا لدولة تميم، وكان يشير على الناصر بأن لا يحارب ابن عمه، وأن يتفقا على العرب كي يسهل عليهما إخراجهم، ومباشرة بعد تلقيه أوامر الناصر

بالسعي لإصلاح ذات البين، أوفد الوزير رسولا إلى المهدية، يعتذر ويعرض الصلح، فوافق تميم وأرسل من جهته رسولا إلى الناصر يدعى محمد بن البعبع[38]. غير أنّ السفير الزيري، سمح لنفسه بتجاوز مهمته عندما أشار على الأمير الحمادي، ببناء مدينة بجاية[39]، واتخاذها مقرا جديدا للدولة، نظرا لقرب موضعها من إفريقية، وهو ما يُسَهّل رغبة الناصر في الاستيلاء على المهدية، إلا أنّ الأمير تميم اكتشف خيوط هذه المؤامرة، وبمجرد عودة السفير محمد بن البعبع من القلعة، أقدم على قتله[40]، وهذه الحادثة كان لها أثر كبير على العلاقات الزيرية الحمادية، التي ظلّت متوترة إلى غاية سنة 470هـ/1078م، وهو تاريخ عقد الصلح بين الدولتين[41].

ونتيجة لضغط الهلالية المستمر على بلاد الناصر بن علناس، بعد أن «ملكوا عليهم الضواحي، يتحيّفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمرصاد، ويأخذون لهم الأتاوة على التصرّف في أوطانهم»[42]، وما نشأ عن ذلك من فوضى، حيث انقطعت الصلة بين المدن بسبب انتشار ظاهرة قطع السبيل، واضطر الفلاحون إلى الفرار من الضواحي، فوقفت التجارة والفلاحة، وانحصرت العمارة والأمن في السواحل[43]، ويقول صاحب الاستبصار:«فلما نجا المنصور[44] إلى القلعة، نزلت عليه جيوش العرب وضيّقوا عليه ببلاده، فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعًا بهم، وكان لا يقدر على التصرّف في بلاده، فطلب موضعا يبني فيه مدينة ولا يلحقه فيها العرب، فدُلّ على موضع بجاية». وفي سنة 460هـ/1068م، افتتح الناصر جبل بجاية، واختط به المدينة، وسمّاها الناصرية باسمه، ولكن غلب على المدينة اسم القبيلة التي كانت تقيم بها وهو بجاية، وبعدما عمّر الناصر عاصمته الجديدة، نقل إليها ذخائره واستقر بها سنة 461هـ/1069م، ونقل إليها الناس وأعفاهم من الخراج، وشهدت المدينة في عهده ازدهارا كبيرا ، فقد بنى بها قصر اللؤلؤة، وأنشأ بها دارًا لصناعة المراكب، واستفحل ملك الحماديين، وبلغت دولتهم من القوة ما جعلها تتفوق على دولة بني زيري في المهدية حسبما ذكره ابن خلدون[45].

ج- التحالف الحمادي الهلالي:

لم تثن هزيمة سبيبة الناصر بن علناس(454-481هـ/1062-1088م) عن الاستعانة بالهلالية مرة أخرى، لتحقيق أطماعه السياسية في إفريقية، وما كان منه إلا إتباع أسلوب ابن عمه تميم مع الهلاليين، عن طريق التحالف مع بعضها ضد البعض، ورغم ما فعلته الأثبج في معركة

سبيبة، إلا أنّ الناصر عمّق صلته بهذه القبيلة، واختصها دون سائر العرب بالرئاسة والإقطاعات[46]، وصار يعتمد عليها في كل حملاته العسكرية، فيذكر ابن عذارى أن الناصر حاصر سنة 460هـ/1068م، الأربس ومعه الأثبج وافتتحها وأمّن أهلها وقتل عاملها ابن مكراز، كما حاصر بهم في السنة نفسها مدينة القيروان ودخلها، وبايعه أهلها إلا أنه لم يمكث بها خوفا من غدر الهلاليين، فعاد إلى قلعته سنة 461هـ/1069م[47]. وفيما كان الصراع محتدما بين الصنهاجيين، كان العرب الهلالية بدورهم يتصارعون فيما بينهم بهدف الهيمنة على البلاد، ففي سنة 466هـ/1074م، وقيل 467هـ/1075م، نشبت حرب شديدة بين زغبة ورياح، وانتهت بانتصار رياح وطرد زغبة من إفريقية، فقام الرياحيون بمساومة الناصر بن علناس لشراء القيروان التي كانت حينها في حيازة زغبة، وبذلك فرض الحماديون سلطتهم على إفريقية ولو لفترة، ويصف ابن خلدون الموقف في إفريقية في تلك الآونة بقوله:«وصارت صاغية أهل إفريقية إلى بني حماد ملوك القلعة وملكوا القيروان»[48].

وأما عن صراع الحماديين مع زناتة في عهد الناصر، فقد غلب الطابع العدائي بين الطرفين، ولم يأل الناصر جهدا في مقاومة زناتة، فقد قام بعدّة حملات عسكرية على المغرب الأوسط[49]، وذكر ابن خلدون أنّ المنتصر بن خزرون الزناتي وجد بني عدي في طرابلس عندما أخرجتهم الأثبج وزغبة من إفريقية، فقام بتجنيدهم ليتجهوا معه إلى غزو المغرب، وسار بهم حتى استقر بالمسيلة، ودخلت جحافلهم إلى أشير، ويبدو أن المنتصر لم يقو على المواجهة، فحينما خرج إليه الناصر، لاذ بالفرار إلى الصحراء، لكن بمجرد عودة الناصر إلى القلعة، استأنف المنتصر وحلفاؤه الهلاليين أعمال السلب والنهب، وأمام صعوبة إخضاعه اضطرّ الناصر إلى استعمال الحيلة والدهاء، حيث عرض على المنتصر الصلح مقابل إقطاعه ضواحي الزاب وريغة، وفي نفس الوقت أوعز إلى عامل الحماديين على بسكرة عروس بن سندي، أن يستدرج المنتصر ويقوم بقتله، وفي سنة 460هـ/1068م، وصل المنتصر إلى بسكرة فخرج إليه عروس وأشار إلى حشمه بقتل المنتصر عند انكبابه وذويه على الطعام ففعلوا، ثم أُرسلت رأسه إلى الناصر فنصبه ببجاية[50]. وبعث أهل الزاب[51] إلى الناصر؛ أنّ الزناتيين وبني غمرت ومغراوة، تحالفوا مع الأثبج ونهبوا بلادهم، فأرسل ابنه المنصور[52] على رأس الجيش فخرّب وُرغلان بلد المنتصر بن خزرون الواقعة جنوب بسكرة، ثم وجّه جنوده إلى ورقلة وعيّن على رأسها عاملا، وقفل راجعا مُحمّلا بالغنائم والسبي، وبلغه أنّ بني توجين الزناتيين، قد ظاهروا بني عدي الهلاليين

على الفساد وقطع السبيل، فبعث إليهم ابنه المنصور فقبض على أميرهم مناد بن عبد الله، وأخيه زيري وعمّيهما الأغلب وحمامة، وأحضرهم إلى الناصر فوبّخهم ثم قتلهم[53]. ولم تنحصر العلاقات الحمادية الزناتية، في الخلاف والعداء، وإنما تخللت ذلك فترات عرفت نوعا من التصالح بينهما، حيث يذكر ابن خلدون أنّ بني ومانو[54] الذين كانت لهم الرئاسة على زناتة، تزوج الناصر إحدى بناتهم وكانت أخرى عند ابنه المنصور. هذه الأحداث تعطينا صورة واضحة عن الفوضى التي شهدها المغرب الأوسط في تلك الفترة، ويعود السبب على وجه الخصوص إلى تلك التحالفات التي أبرمتـها بطون من قبيلة زناتة مع الهلالية، اقتداء بأعدائهم الصنهاجيين[55].

ولما توفي الناصر سنة 481هـ/1089م، قام بالأمر من بعده ابنه المنصور فسار وفق سياسة أبيه [56]، فقد استطاع استغلال القبائل الهلالية أحسن استغلال، حيث صالحهم على أن يجعل لهم نصف غلّة البلاد من تمرها وبرّها وغير ذلك، فأقاموا على ذلك باقي أيامه وأيام ابنه العزيز، وأيام يحيى[57]، واستهلّ الأمير الحمادي عهده بمواجهة تمرّد عمّه بلبار في قسنطينة، فوجّه إليه المنصور جيشا بقيادة أبي يكني بن محسن بن القائد بن حماد، فقبض على بلبار ووجّهه إلى القلعة، وأقام أبو يكني واليًا على قسنطينة بإذن من المنصور، وعهد بولاية بونة[58] إلى أخيه ويغلان، إلا أنه في سنة 487هـ/1094م، تعرّض البيت الحمادي لمحاولة انقلابية كبيرة قادها أبو يكني، حيث كلّف أخاه ويغلان بالذهاب إلى تميم في المهدية عارضا عليه تسليم بونة، فقبل تميم ذلك العرض، وأوفد مع ويغلان ابنه أبو الفتوح كي يستلم المدينة، ومن جهة أخرى تمكن أبو يكني وأخاه ويغلان من توظيف عدد كبير من الهلالية في صفوفهم، وتبادلوا الرسائل مع المرابطين في المغرب الأقصى، ولم يتأخر الرد الحمادي على هذه التطورات، فقد سرّح المنصور عساكره إلى بونة لاسترجاعها، وبعد سبعة أشهر من الحصار، تمكن الجيش من اقتحامها، وقبضوا على أبي الفتوح بن تميم ووجّهوه إلى القلعة حيث أمر المنصور بسجنه، ثم نازلت عساكره قسنطينة، فاضطر أبو يكني للخروج والتحصّن بقلعة في جبل أوراس، فتوجهت إليه العساكر واقتحموا عليه قلعته وقتلوه، أما قسنطينة فقد استولى عليها أحد رجالات قبيلة الأثبج يُدعى صُليصِل بن الأحمر، فساومه المنصور كي يتنازل له على المدينة مقابل المال، فعادت قسنطينة إلى ممتلكات المنصور من جديد[59].

أما على صعيد الصراع مع زناتة، فقد ساءت العلاقة بين المنصور وبين أصهاره من بني ومانو، بسبب تحالفهم مع المرابطين، فعندما غزا قائد الجيش المربطي مزدلي بن تبلكان، تلمسان سنة 472هـ/1080م، تمكن من الاستيلاء عليها، لتتخذ منذ سنة 474هـ/1082م، قاعدة لجند المرابطين وعتادهم بالمنطقة[60]، ونصّب يوسف بن تاشفين على المدينة عاملا له يدعى محمد بن يغمر المسوفي، فأخذ هذا الأخير في الإغارة على ممتلكات الحماديين، حيث استولى على وهران[61]، وجبال الونشريس، وشلف[62] وتنس[63]، إلى أن نازل الجزائر سنة 475هـ/1083م[64]، ويبدو أن هذا الغزو كان بمساعدة قبيلة بني ومانو، الأمر الذي أغضب المنصور فسيّر جيشا إلى بني ومانو وخرّب حصون ماخوخ، وضيّق على ابن يغمر المسوفي، فاضطرّ يوسف بن تاشفين إلى التصالح معه ووضع حدّ للغارات المرابطية على الممتلكات الحمادية، إلا أن المرابطين لم يلتزموا بهذا الصلح، فسرعان ما عادوا إلى الإغارة على بلاد المنصور، فبعث إليهم ابنه الأمير عبد الله، ولما سمع به المرابطون رجعوا إلى مراكش، في حين شنّ عبد الله غارة على قبيلة بني ومانو المتمردة، وتمكن من فرض سيطرته على المغرب الأوسط، وعاد إلى بجاية[65]، وبعد وفاة ابن يغمر المسوفي خلفه على تلمسان أخوه تاشفين، فغزا أشير وافتتحها وخرّبها، وكان لقبيلة بني ومانو بقيادة ماخوخ دور في ممالأته وإمداده، فحقد عليهم المنصور وخرج لغزوهم، لكنه هُزِم أمامهم، فولّى راجعا إلى بجاية وأول ما دخل قصره قام بقتل زوجته أخت ماخوخ، انتقاما من أخيها، وكان لا بد من مواجهة عسكرية بين الحماديين والمرابطين، نتيجة للتوتر المستمر للعلاقة بين الجانبين، بداية بالتواجد المرابطي المستمر على جزء معتبر من القسم الغربي للدولة الحمادية منذ سنة 472هـ/1080م[66]، ثم توترت العلاقات أكثر حين لجأ أمراء الطوائف المخلوعين إلى المغرب الأوسط، حيث قبل المنصور استضافة ولي عهد ألمرية[67] معز الدولة بن صمادح، وأهله وبعض رعيته، الذي لجأ إليه فرارا من قوات المرابطين التي استولت على ملكه في الأندلس، فأقطعه المنصور منطقة تدلس[68] التي أقام بها حتى آخر حياته[69].

وفي سنة 496هـ/1103م، حشد المنصور قواته لغزو تلمسان، وقد اشتملت جيوشه بالإضافة إلى الصنهاجيين والزناتيين، تحالف كبير من القبائل الهلالية متمثلة في الأثبج ورياح وزغبة وربيعة والمعقل، وزحف على تلمسان على رأس عشرين ألف مقاتل، وكي يتحكم في زمام المعركة، اعتمد خطة بمقتضاها جعل جزءا من جيشه يسبقه ليدخل في مناوشات مع جيش

المرابطين على مشارف تلمسان، على أن تباغت قواته المتبقية مؤخرة جيش ابن يغمر. ونجحت الخطة؛ حيث غادر تاشفين تلمسان متوجها إلى منطقة تُسَالة المحاذية لتلمسان، فالتحم مع مقدمة الجيش الحمادي، بينما تمكن القسم الثاني من عساكر المنصور، من ضرب مؤخرة الجيش المرابطي ملحقا به هزيمة نكراء، فأُجبرت قواته على اللجوء إلى جبل الصخرة المحاذي لمدينة تلمسان، وبينما دخلت قوات المنصور إلى تلمسان لنهبها، خرجت إليهم زوجة تاشفين بن يغمر، وتقدمت للمنصور والتمست منه الرحمة، متوسلة له بوشائج صنهاجة بأن يطلق الأسرى، فأكبر قصدها وأكرم موصلها، وأفرج عن كل الأسرى، وأجلى جنوده من تلمسان في صبيحة نفس اليوم وولّى راجعا إلى القلعة[70].

ويبدو أن القبائل الهلالية كان دورها حاسما في تحديد نتيجة تلك المعركة، ولئن أحجمت المصادر عن ذكر أعدادهم في صفوف الجيش الحمادي، إلا إجمالا ضمن باقي الأصول الأخرى المكونة للجيش، حيث أحصى ابن الخطيب قوات الحماديين باثنتي عشر محلة، أي ما يعادل أربعة وعشرين ألف مقاتل[71]، والمؤكد أنّ عدد الهلاليين في صفوف القوات الحمادية كان كبيرا ومؤثرا، وما الرسالة التي بعثها يوسف بن تاشفين إلى المنصور بن الناصر يؤنبه بسبب اعتماده على العناصر الهلالية إلا دليلا لتأكيد ذلك، فردًا على رسالة وردت إليه من المنصور الحمادي لم نقف على نصها، بدأ يوسف بن تاشفين رسالته إلى المنصور بتذكيره بوصول كتابه الذي أرسله إليه، ثم خاطبه بلهجة صريحة وقاسية، متهما إياه بالتجني، ومعاتبا إياه بسبب تحالفه مع الهلاليين:«إلى صاحب قلعة حماد وصل كتابك الذي أنفذته من وادي منى[72] صادرا عن الوجهة التي استظهرت عليها بأضدادك وأجحفت بطارفك وتلادك...وجدناك تتجنّى وتُثَرِّبْ على من لم يستوجب التثريب...تستدعي ذؤبان العرب وصعاليكهم من مبتعد ومقترب، فتعطيهم ما في خزائنك جزافا، وتنفق عليهم ما كنزه أوائلك إسرافا، وتمنح أهل العشرات مئين وأهل المئين آلافًا، كلّ ذلك تعتضد بهم، وتعتمد على تعصبهم لك وتألّبهم، وتعتقد أنهم جُنّتك من المحاذير، وحماك دون المقادير...»[73].

وهناك تساؤل أثاره الدارسون حول عدم مواصلة المرابطين زحفهم نحو الشرق، وتفضيلهم الشمال، خصوصا وأنّ إمارة بني حماد تراجعت قوتها، وصارت في متناول المرابطين، فهناك من يفسر ذلك بتمكن الحماديين من ردع جيوش المرابطين التي اضطرت للتراجع[74]، بينما عزا البعض ذلك إلى إبقاء المرابطين على صلات القربى بينهم وبين بني حماد[75]، في حين رد طرف

ثالث ذلك إلى استغاثة أمراء الأندلس بالمرابطين[76]، وفي تقديرنا فإنّ هزيمة تلمسان، وما رآه قادة الجيش المرابطي من شراسة المقاتل الهلالي، وخشية من اجتياحهم للمغرب الأقصى، هذه الأسباب مجتمعة هي التي فرضت على المرابطين توقيف مشروعهم التوسعي في المغرب الأوسط.

وبعد وفاة المنصور سنة 498هـ/1105م، خلفه ابنه باديس[77] على العرش الحمادي، وكان كما وصفته المصادر شديد البأس، عظيم السطوة، سريع البطش، ولم يُعمّر في الحكم طويلا، فقد دامت عهدته ثمانية أشهر فقط، بدأها بالتنكيل برجال حكمه، حيث أقدم على قتل عبد الكريم بن سلمان وزير أبيه المنصور، ولما غادر القلعة للاستقرار في بجاية، قتل عاملها، ثم امتدّت إساءته إلى أخيه العزيز حيث نفاه إلى جيجل بعدما عزله عن الجزائر التي كان واليا عليها في عهد والدهما المنصور، ولقي باديس حتفه قبل أن يستكمل سنة من حكمه، ويقال أنّ أمه هي التي سمّته لأنه كان يهددها ويتوعدها. وبعد وفاة باديس ولي بعده الحكم أخوه العزيز(498-515هـ/1105-1121م)، وقد استدعاه من جيجل قائد الأسطول الحمادي علي بن حمدون فتمت مبايعته، وكانت سياسته شبيهة بسياسة والده وجدّه الناصر، حيث عمل على التقرب من جميع جيران مملكته، فقد صالح زناتة وتزوج ابنة الزعيم الزناتي ماخوخ اقتداء بوالده وجده[78]، وتقرّب من أبناء عمومته الزيريين، وتمتينا للروابط التي أصبحت قائمة بين الطرفين، تزوج الأمير الحمادي العزيز ببدر الدجى ابنة الأمير يحيى بن تميم ودخل بها سنة 509هـ/1116م، إلا أنّ هذا الصلح لم يمنع العزيز من تجهيز أسطول إلى جربة، فتمكن من إخضاعها وإدخالها في طاعته، كما نازل تونس فاضطر صاحبها أحمد الخراساني إلى الدخول في طاعته[79].

وأما على صعيد العلاقات مع المرابطين، فوفاة يوسف بن تاشفين سنة 500هـ/1107م، تسببت في اختلال أحوال الدولة المرابطية، وواجه خليفته علي بن تاشفين مشاكل كثيرة يلخصها المراكشي بقوله:«فظهرت في بلاده مناكر كثيرة، وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد، وانتهوا في ذلك إلى التصريح، فصار كلٌّ منهم يُصرح بأنه خير من علي أمير المسلمين وأحق بالأمر منه، واستولى النساء على الأحوال وأُسندت إليهن الأمور»[80]، ونتيجة لهذه الظروف لم يعد حكام المرابطين يتطلعون إلى التوسع على حساب جيرانهم الحماديين. أما الهلاليين فإنهم بسبب غياب الأمير الحمادي عن القلعة وإقامته الدائمة في بجاية منذ تربعه

على العرش، قاموا بالإغارة على القلعة «فاكتسحوا جميع ما وجدوه بظواهرها، وعظم عيثهم»[81]، ولم تنجح الحامية التي تركها الحماديون في القلعة من صد عدوانهم، وعندما بلغ الخبر إلى العزيز(498-515هـ/1105-1121م)، جهّز جيشا بإمارة ابنه يحيى(515-547هـ/1121-1152م)[82] وقائده علي بن حمدون، وعند وصولهم إلى القلعة أمّنوا الهلاليين، وعاتبوهم على فعلهم وولّوا عائدين إلى بجاية، وفي سنة 515هـ/1122م، توفي العزيز فخلفه ابنه يحيى، وتصفه المصادر بأنه كان مستضعفا مغلبا للنساء مولعًا بالصيد واللهو، لا ينظر في شيء من أمور مملكته، وترك أمور الدولة بيد عائلة بني حمدون[83]، وهو أول من ضرب السكة من الأمراء الحماديين، وكتب على أحد وجهيها: « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون»[84]، وعلى الوجه الآخر:«بسم الله الرحمن الرحيم ضُرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة». ويبدو أنّ علاقته مع أبناء عمومته في المهدية لم تكن على ما يرام، فقد كان يحيى يتطلع للتوسع على حساب المدن الواقعة تحت سيطرتهم أو التي يسيطر عليها العرب، فعندما شقّ عليه ابن مروان عصا الطاعة في توزر، وجّه يحيى قائده مطرف بن علي بن حمدون على رأس جيش لتأديبه، فاستولى مطرف على المدينة، وقبض على ابن مروان وأرسله إلى يحيى فسجنه في الجزائر إلى أن هلك في معتقله، وبعث مطرف ابنه إلى تونس فافتتحها ونازل المهدية فامتنعت عليه[85].

وتذكر المصادر أنّ وفدا من عرب بني هلال وفد على يحيى بن العزيز طالبين منه مساعدة عسكرية لامتلاك المهدية، تاركين أولادهم عنده كرهائن، وحسب ابن الأثير فإن سبب ذلك هو النفوذ المتزايد لأحد الأمراء العرب لدى الأمير الزيري الحسن بن علي، فحسده غيره من العرب[86]، بينما يذكر التجاني أنّ السبب يعود لخلاف بين الحسن وبين ابن عمه يحيى بن العزيز[87]، في حين يُرْجِع ابن أبي دينار السبب إلى الصلح الذي أبرمه الأمير الزيري الحسن بن علي مع صاحب صقلية رجار مخافة من شره، ولشعوره بالعجز عن مواجهته عسكريا، فلم يُرضِ هذا الصلح المهين أهل المهدية، وقاموا بمكاتبة الأمير الحمادي يحيى بن العزيز وأطمعوه بتسليم المهدية[88]. فأرسل يحيى سنة 529هـ/1135م، أسطولا في البحر وجيشا في البر قائده الفقيه مطرف بن حمدون وانظم إليه جمع كثير من عرب بني هلال، حتى نزلوا على المهدية وحاصروها برا وبحرا، وأظهر مطرف أنه يريد استلام المدينة دون قتال، وبعد حصار دام سبعين يوما نشب القتال بين الطرفين إلا أنّ مطرف فشل في اقتحام المهدية لحصانتها، وفي

تلك الأثناء وصلت نجدة بحرية من رجار صاحب صقلية، وأمام هذه التطورات اضطر الجيش الحمادي للانسحاب. وكانت نتائج هذه الحملة وخيمة على الجانب الحمادي، فمن جهة ساهمت في تعميق حدّة الخلاف بين الحماديين والزيريين، كما أنها فتحت على الحماديين باب الصراع مع النورمان، ففي سنة 537هـ/1143م، بعث رجار حملة عسكرية إلى جيجل وكانت تابعة للحماديين، فأخذها عنوة وسفك دماء أهلها وسبى حريمها وأحرقها بالنار[89]، واستولى سنة 539هـ/1145م، على مدينة برشك[90] الساحلية وقتل أهلها وسبى حريمها وباعهم بصقلية[91].

وفي سنة 546هـ/1152م، عزم الخليفة الموحدي عبد المؤمن على فتح بجاية، وكان لما أراد السير إليها، اتجه من مراكش[92] إلى سبتة[93] فظن الناس أنه يريد العبور إلى الأندلس، وأوقف حركة القوافل إلى شرق المغرب، وهي خطة أراد من خلالها عبد المؤمن مباغتة الحماديين، وسار من سبتة سنة 547هـ/1153م، فلم يشعر أهل بجاية إلا وهو في أعمالها[94]. وكانت القبائل العربية أكثر القبائل دفاعا عن الدولة الحمادية، وظلوا يقاومون حتى بعد أن استسلم بنو حمّاد، حين خانهم وزيرهم أبو محمد ميمون بن علي بن حمدون، الذي فرّ إلى بني سُليم، فكتب إليه عبد المؤمن بالأمان، فترك العرب وبني حمّاد والتحق بعبد المؤمن، وفتح له باب بجاية عاصمة بني حمّاد[95]، أما يحيى فقد فرّ إلى قسنطينة وكان بها أخوه الحسن بن العزيز، فأقام بها أياما إلى أن دخل في طاعة الموحدين، ووصل إلى الخليفة عبد المؤمن فأكرمه، ورحل معه إلى مراكش، ثم أسكنه بمدينة سلا إلى أن توفي ودُفن في مقابرها الجوفية مما يلي البحر، وبذلك انقرضت دولة بني حماد[96].

خلاصة القول أن الحماديين نجحوا في استمالة القبائل الهلالية اقتداء ببني عمومتهم الزيريين في وقت مبكر، واستطاعوا توظيفهم في مشاريعهم التوسعية على حساب الزيريين وفي حروبهم مع عدوهم التقليدي زناتة، ثم مع دولة المرابطين، كما استعانوا بهم للوصول إلى سُدّة الحكم، وعانى حكام بني حماد من المزاج المتقلب للهلاليين، وخصوصا قدرتهم على التكيف والتحالف مع أي جهة تدفع لهم أكثر، إلا أنّ ما يحسب للهلاليين، هو أنهم كانوا أكثر القبائل دفاعا عن الدولة الحمادية أمام الموحدين، وظلوا يقاومون حتى بعد أن استسلم بنو حمّاد.

الهوامش:

[1]- الهلالية وبني هلال؛ تسمية أُطلقت على القبائل العربية التي اجتاحت بلاد المغرب الإسلامي في بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وشملت لفظة الهلالية باقي القبائل العربية المتحالفة مع الهلاليين من باب إطلاق اسم الجزء على الكل، ولأنّ الرياسة حينها كانت لقبيلة بني هلال صارت القبائل المتحالفة معهم مندرجة في جملتهم، ويرى أحد الباحثين أنّ هناك عامل مساعد على استئثارهم بالشهرة يتصل بالاسم« هلال» وسهولة دورانه على الألسنة. انظر: عبد الرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، ص23؛ وعبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، كتب عربية، ص52؛ وحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس« عصر المرابطين والموحدين»، ط1، مكتبة الخانجي بمصر، 1980، ص307.

[2]- الزيريين: نسبة إلى زيري بن مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر، من تلكاتة وهي فرع من قبيلة صنهاجة، وكان من أعظم ملوك البربر، وأول من ملك من الصنهاجيين بالمغرب الأوسط، وكانت بينه وبين الزناتيين حروبا كثيرة، وعند قيام الدولة الفاطمية كان زيري من مناصريها، ودعمهم أيام ثورة أبي يزيد الخارجي فكافأه الفاطميون بتوسيع نفوذه، واستخلاف ابنه بلكين على بلاد المغرب، وكانت نهايته على يد قبيلة زناتة. انظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص202 وما بعدها؛ وشمس الدين بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج2، ص343؛ وشهاب الدين النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج24، ص85 وما بعدها.

[3]- الحماديون: نسبة إلى المؤسس حماد بن بلكين(405-419هـ/1014-1029م) الذي قاد حركة انفصالية ضد بني عمه الزيريين، وقام ببناء القلعة سنة 398هـ/1008م، معلنا بذلك عن قيام كيان سياسي جديد، مخالفا لكل ما يمت لدولة ابن أخيه باديس بصلة، فقد أظهر السنّة، وخلع طاعة العبيديين، وأعلن تبعيته لآل العباس. انظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص228؛ ولسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تح: سيّد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج2، ص322.

[4]- حماد(405-419هـ/1014-1029م): هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد، كان نسيج وحده، وفريد دهره، وفحل قومه، درس الفقه والجدل في القيروان، وكان شجاعا جوادا، وداهية حصيفا، وأخباره مشهورة، وهو الذي بنى القلعة المنسوبة إليه، فاتخذ بها القصور العالية، والقصاب المنيعة، والمساجد الجامعة، والبساتين الأنيقة، ونقل إليها الناس من سائر البلاد، توفي سنة 419هـ/ 1029م. انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص328-329؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص229.

[5]- القائد بن حماد(419-446هـ/1028-1054م): ولي الحكم بعد وفاة والده حماد سنة 419هـ/1028م، كان جبّارا، سديد الرأي، عظيم القدر، خلع دعوة العبيديين كما فعل ابن عمه المعز بن باديس، إلا أنّ ابن خلدون

يقول أنّ القائد راجع دعوة العبيديين لما نقم عليه المعز، ولقّبوه شرف الدولة، توفي سنة 446هـ/1054م، وخلفه ابنه محسن. انظر: العبر، ج6، ص229؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص329.

6- ابن خلدون: العبر، ج6، ص229؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص329.

7- نهاية الأرب: ج24، ص114، 122.

8- أبو الحسن علي بن الأثير: الكامل في التاريخ، تح: أبي الفدا عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج8، ص248؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص229.

9- ابن خلدون: العبر، ج6، ص20، 229؛ ومارسيه جورج: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ت، ص227.

10- السجلات المستنصرية: تحقيق: عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، 1954، ص44.

11- ابن الأثير: الكامل، ج8، ص372.

12- أبو عبيد الله البكري: المسالك والممالك، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992، ص710.

13- ابن الأثير: الكامل، ج8، ص317؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص229؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص329.

14- بلكين بن محمد(447-454هـ/1055-1062م): هو بلكين بن محمد بن حماد بن بلكين بن زيري، ملك القلعة إثر تخلصه من محسن بن القائد سنة 447هـ، كان شهما حازما سفّاكا للدماء، كثير الغزو، قتله ابن عمه الناصر بن علناس انتقاما منه على قتل أخته. انظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص229؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص330-331.

15- العبر، ج6، ص229.

16- ابن الأثير: الكامل، ج8، ص297؛ والنويري: نهاية الأرب، ج24، ص121.

17- المرابطين: نسبة للرباط الذي أسسه زعيمهم عبد الله بن ياسين(ت 451هـ/1059م) في أعالي حوض نهر السنغال، ونظرا لجهادهم وصبرهم أطلق عليهم تسمية المرابطين، ويعتبر يوسف بن تاشفين(454-500هـ/1062-1106م) أبرز وجوه هذه الحركة، فهو الذي أسس مراكش واتخذها عاصمة للدولة، وغزا الأندلس وأخضعها لسلطته بعد معركة الزلاقة الشهيرة. انظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص242 وما بعدها؛ ومبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، ص281 وما بعدها.

18- يوسف بن تاشفين(454-500هـ/1062-1106م): أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تومرت بن ورتاقط بن منصور بن مصالة بن منصور بن أمية بن وانصال اللمتوني الصنهاجي الحميري، أمير المسلمين وملك الملثمين، كان رجلا خيّرا صالحا شجاعا مرابطا مجاهدا، كان زاهدا في الدنيا، لباسه الصوف وأكله الشعير ولحوم الإبل وألبانها، خُطب له في بلاد المغرب على نحو ألفي منبر، كان محبا للعلماء مكرما للصلحاء، توفي بمراكش وعمره مائة سنة. انظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص112؛ وعلي بن أبي زرع: الأنيس

المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص136؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص388، 393.

[19]- فاس: هي قطب بلاد المغرب الأقصى وقاعدته، وهي عبارة عن مدينتان بينهما نهر كبير، تسمى الأولى عدوة الأندلسيين وأُسّست سنة 192هـ، وتسمى الثانية عدوة القرويين وأُسّست سنة 193هـ، في عهد إدريس الثاني. انظر: أبو عبد الله الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص242؛ ومحمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص434.

[20]- الناصر بن علناس(454-481هـ/1062-1088م): هو الناصر بن علناس بن حماد بن بلكين بن زيري بن مناد، وصل إلى الحكم في سنة 454هـ بعد انتقامه من بلكين بن محمد بن حماد، الذي قتل أخته، كان جريئا على سفك الدماء، شديد الغيرة على النساء، عظم شأن آل حماد في أيامه، فبنى المباني العجيبة المؤنقة، وشيّد المدائن العظيمة، وهو الذي بنى مدينة بجاية وسمّاها الناصرية، وبنى بها قصر اللؤلؤة، وغزا المغرب، توفي سنة 481هـ. انظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص229، 232؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص333.

[21]- أبو الحسن بن بسام علي الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ط1، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1979، القسم الأول، المجلد الأول، ص190؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص229؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص330؛ وموسى هيصام: الجيش الجزائري في العهد الحمادي، منشورات مديرية الثقافة، المدية، 2008، ص118.

[22]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص217، 230؛ وروجي إدريس: نفسه، ج1، ص304.

[23]- أبو عبد الله بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1، ص299.

[24]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص230.

[25]- الكامل، ج8، ص ص372-373؛ ونهاية الأرب، ج24، ص122.

[26]- النويري: نهاية الأرب، ج24، ص123.

[27]- روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص306.

[28]- ابن الأثير: الكامل، ج8، ص373؛ والنويري: ونهاية الأرب، ج24، ص123.

[29]- سَبيبة: مدينة قديمة، من أعمال القيروان، ذات أنهار، ومياه سائحة، يسكنها العرب والبربر. انظر: الاستبصار، ص161؛ وشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج3، ص186.

[30]- الأربس: مدينة وطاء من الأرض، تقع غربي جبل زغوان، بينها وبين باجة مرحلتان، ومن الأربس إلى القيروان ثلاث مراحل، وهي مسوّرة ولها ربض كبير، ولها معدن حديد وهي على مزارع الحنطة والشعير، وبأرضها يكثر الزعفران. انظر: البكري: المصدر السابق، ص706؛ والإدريسي: نزهة المشتاق، ص292.

[31]- ابن عذارى: البيان، ج1، ص299؛ ابن الأثير: الكامل، ج8، ص372؛ والنويري: نهاية الأرب، ج24، ص122.

32- الكامل، ج8، ص373؛ ونهاية الأرب: ج24، ص123؛ والعبر: ج6، ص230.

33- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص129.

34- العبر: ج6، ص27.

35- ابن الأثير: الكامل، ج8، ص373؛ والنويري: نهاية الأرب، ج24، ص123-124؛ وهيصام: المرجع السابق، ص115.

36- العبر: ج6، ص27؛ ج7، ص61.

37- نزهة المشتاق، ص263، 265.

38- ابن الأثير: الكامل، ج8، ص373؛ والنويري: نهاية الأرب، ج24، ص124.

39- بجاية: مدينة عظيمة، تقع ما بين جبال شامخة، ويحيط بها البحر من ثلاث جهات، وهي مدينة الغرب الأوسط وقاعدة ملك بني حماد، شيدها الناصر بن علناس، وعمرت بخراب القلعة، وأهلها تجار مياسير، وبها من الصناعات والصُنّاع ما ليس بكثير من البلاد. انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ص260؛ والاستبصار: ص129-130؛ والحموي: المصدر السابق، ج1، ص339.

40- ابن الأثير: الكامل، ج8، ص374-375؛ والنويري: نهاية الأرب، ج24، ص126،125،124.

41- ابن عذارى: البيان، ج1، ص300.

42- ابن خلدون: العبر: ج6، ص27.

43- الميلي: المرجع السابق، ج2، ص185.

44- أطلق صاحب الاستبصار على الناصر اسم المنصور، وكما هو معروف تاريخيا الناصر هو الذي جرت في عهده معركة سبيبة.

45- العبر: ج6، ص231، 232؛ والاستبصار، ص129، 130.

46- ابن خلدون: العبر، ج6، ص27؛ وعبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة في تاريخ الجزائر، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص134.

47- ابن عذارى: البيان، ج1، ص299؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص333.

48- ابن الأثير: الكامل، ج8، ص408؛ وابن عذارى: البيان، ج1، ص300، وابن خلدون: العبر، ج6، ص217.

49- روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص323.

50- ابن خلدون: العبر، ج6، ص231؛ ج7، ص59؛ وروجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص323.

51- الزاب: كورة عظيمة ونهر جرّار في بلاد المغرب، بينه وبين القيروان عشرة مراحل، ويضم مدن كثيرة أهمها المسيلة ونقاوس وطبنة وبسكرة وتهودة وغيرها. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص281؛ والحموي: المصدر السابق، ج3، ص124.

52- المنصور(481-498هـ/1088-1105م): هو المنصور بن الناصر بن علناس، كان صغيرا عندما ارتقى إلى الحكم سنة 481هـ/1088م، خلفا لوالده الناصر؛ إذ أنّ أمه بلارة بنت تميم تزوجت سنة 470هـ/1077م، وقد

وصلته كتب الملوك بالتعزية بأبيه والتهنئة بالملك، منهم يوسف بن تاشفين وجدّه لأمه تميم بن المعز، اقتفى آثار أبيه في الحزم والعزم والرئاسة، وكان جمّاعةً مولعًا بالبناء، وتشييد المصانع واتخاذ القصور. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج8، ص455؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص232؛ وحسن حسني عبد الوهاب: شهيرات التونسيات، المطبعة التونسية، تونس، 1934، ص52؛ وروجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص325.

[53]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص231؛ وروجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص324.

[54]- بني ومانو: إحدى قبائل زناتة، وكانت رفقة قبيلة يلومي أوفر بطون زناتة وأشدّهم شوكة، ومواطنهم جميعا بالمغرب الأوسط، وكان الصنهاجيون يستعملونهم في حروبهم، وكانت رياسة بني ومانو في بيت منهم يعرفون ببني ماخوخ. انظر: ابن خلدون: العبر، ج7، ص74-75.

[55]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص233؛ وروجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص324.

[56]- ابن الأثير: الكامل، ج8، ص455؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص232.

[57]- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963، ص294؛ وعويس: المرجع السابق، ص146.

[58]- بونة: مدينة قديمة من بناء الأُول وفيها آثار كثيرة، تقع على نحر البحر ويطل عليها جبل زغوغ وهو كثير الثلج، وكانت للمدينة أسواق حسنة وتجارة مقصودة، وبها معادن الحديد، ولها أقاليم وأرض واسعة تغلبت عليها القبائل العربية. انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ص291؛ والاستبصار، ص127.

[59]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص232-233؛ وروجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص326.

[60]- ابن أبي زرع: الأنيس، ص143؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص233؛ وهيصام: المرجع السابق، ص118.

[61]- وهران: هي مدينة على ضفّة البحر بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بالاتفاق مع قبائل البربر المجاورين لها، وعلى المدينة سور متقن من التراب، وبها أسواق وصنائع كثيرة. انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ص252؛ والاستبصار، ص133.

[62]- شلف: مدينة قديمة فيها آثار، وإليها ينسب النهر الكبير. انظر: الاستبصار: ص171.

[63]- تنس: هي مدينة قديمة على مقربة من ضفّة البحر، عليها سور حصين، وبها مسجد جامع وأسواق كثيرة، ولها نهر يسمى تامن، وهي كثيرة الزرع رخيصة الأسعار. انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ص251؛ والاستبصار، ص133.

[64]- ابن أبي زرع: الأنيس، ص143؛ وابن خلدون: العبر، ج7، ص75؛ وهيصام: المرجع السابق، ص118.

[65]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص233؛ وروجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص327.

[66]- العبر: ج7، ص75؛ وهيصام: المرجع السابق، ص118.

[67]- ألمرية: مدينة محدثة بالأندلس، أمر ببنائها الأمير الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد، سنة 344هـ/956م، وهي من أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، ومن أجلّ أمصارها وأشهرها. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص537.

[68]- تدلس: هي مدينة لها سور حصين وديار ومنتزهات، تبعد عن بجاية بسبعين ميلا، وعن مرسى الدجاج بأربعة وعشرين ميلا. انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ص259.

[69]- ابن أبي زرع: الأنيس، ص155؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص234؛ والقادري بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1994، ص83.

[70]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص234؛ ؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص333؛ ؛ وروجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص330؛ ورشيد بورويبة: الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص77.

[71]- أعمال الأعلام، ج2، ص333؛ وهيصام: المرجع السابق، ص47.

[72]- وادي منى من أحواز طنجة. انظر: ابن أبي زرع: الأنيس، ص143.

[73]- أبو نصر بن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ط1، مكتبة المنار، الأردن، 1989، ص310-311؛ وابن بسام: المصدر السابق، القسم الثاني، المجلد الأول، ص257 وما بعدها.

[74]- القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص84؛ وعويس: المرجع السابق، ص142.

[75]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ص206.

[76]- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ج2، ص118.

[77]- باديس: هو باديس بن المنصور بن الناصر بن علناس، كان شديد البأس، عظيم السطوة، سريع البطش، هلك قبل أن يستكمل سنة من حكمه، ويقال أن أمه قتلته بالسم لأنه كان يهددها ويتوعدها. انظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص234؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص334.

[78]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص234؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص334.

[79]- ابن عذارى: البيان، ج1، ص306؛ وابن خلدون: نفسه، ج6، ص234؛ وعويس: المرجع السابق، ص150.

[80]- المراكشي: المعجب، ص241؛ وعويس: المرجع السابق، ص149.

[81]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص235.

[82]- يحيى(515-547هـ/1121-1152م): هو يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس، طالت سنوات حكمه حيث بلغت اثنتان وثلاثين سنة، تصفه المصادر بأنه كان فاضلا حليما، فصيح اللسان والقلم، مليح العبارة بديع الإشارة، وكان مولعا بالصيد واللهو، وهو آخر ملوك بني حماد. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج9، ص372؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص235؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص334.

[83]- ابن الأثير: الكامل، ج9، ص372؛ ابن خلدون: نفسه، ج6، ص235؛ وابن الخطيب: نفسه، ج2، ص334.

[84]- سورة البقرة، الآية281.

[85]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص235؛ وعويس: المرجع السابق، ص156.

[86]- الكامل، ج9، ص285.

[87]- عبد الله بن محمد التجاني: رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص339-340.

[88]- أبو عبد الله بن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ، ص90؛ وممدوح حسين: الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري، ط1، دار عمار للنشر، الأردن، 1998، ص206.

[89]- ابن الأثير: الكامل، ج9، ص285- 286؛ والتجاني: الرحلة، ص340؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص215؛ وابن أبي دينار: المؤنس، ص90-91؛ وعويس: المرجع السابق، ص162.

[90]- برشك: مدينة صغيرة تقع على ضفّة البحر، عليها سور من تراب، وتبعد عشرين ميلا عن شرشال. انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ص257-258.

[91]- ابن الأثير: الكامل، ج9، ص334.

[92]- مراكش: مدينة كبيرة قديمة فيها آثار، تقع شمال أغمات، أسسها يوسف بن تاشفين سنة 470هـ، انظر: الحميري: المصدر السابق، ص540.

[93]- سبتة: مدينة قديمة سكنها الأُول، فيها آثار كثيرة، ويحيط بها البحر على ثلاث جهات، وهي تقابل الجزيرة الخضراء. انظر: الحميري، نفسه، ص303.

[94]- أبو بكر علي البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص73؛ وابن الأثير: الكامل، ج9، ص372.

[95]- ابن عذارى: البيان(قسم الموحدين)، ص46-47؛ وابن أبي زرع: الأنيس، ص193؛ وبشير عبد الرحمن: العرب في عصر الموحدين بين الخضوع والتمرد، مجلة كلية الآداب- جامعة الزقازيق- مصر، عدد57، 2011، ص77.

[96]- التجاني: الرحلة، ص334؛ وابن عذارى: البيان(قسم الموحدين)، ص46.

قائمة المصادروالمراجع:

1- قائمة المصادر:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي: الكامل في التاريخ، تح: أبي الفدا عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

- الإدريسي، أبو عبد الله الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

- ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ط1، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1979.

- البكري، أبو عبيد الله: المسالك والممالك، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992.

- البيذق، أبو بكر علي: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

- الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
- ابن خاقان، أبو نصر: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ط1، مكتبة المنار، الأردن، 1989.
- التجاني، عبد الله بن محمد: رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.
- ابن خلدون، عبد الرحمن: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.
- ابن الخطيب، لسان الدين: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تح: سيّد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- ابن خلكان، شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ابن أبي دينار، أبو عبد الله: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ.
- ابن أبي زرع، علي الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977.
- ابن عذارى، أبو عبد الله المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983.
- السجلات المستنصرية: تحقيق: عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، 1954.
- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.
- المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963.
- النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت.

2- المراجع:

- بشير عبد الرحمن: العرب في عصر الموحدين بين الخضوع والتمرد، مجلة كلية الآداب- جامعة الزقازيق- مصر، عدد57، 2011.
- حسن حسني عبد الوهاب: شهيرات التونسيات، المطبعة التونسية، تونس، 1934.
- القادري بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1994.
- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة.
- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس« عصر المرابطين والموحدين»، ط1، مكتبة الخانجي بمصر، 1980.

- رشيد بورويبة: الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
- عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، كتب عربية.
- عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة في تاريخ الجزائر، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.
- ممدوح حسين: الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري، ط1، دار عمار للنشر، الأردن، 1998.
- مارسيه جورج: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ت.
- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- موسى هيصام: الجيش الجزائري في العهد الحمادي، منشورات مديرية الثقافة، المدية، 2008.